« سيناء .. الحرب والسلام »

فيلم تسجيلى ملون فى سبعة وعشرين دقيقة

(ناطق باللغات العربية والانجليزية والفرنسية والاسبانية والالمانية)

اخـــــراج : عبد القادر التلمسانى
مدير التصوير : حســن التلمسانـــى
مونتـــــاج : حســين عفيفـــى
سيناريو وتعليق : صـــلاح حافـــظ
موسيقـــــى : عبد العظيم عويضة
وعلاء الدين مصطفى
مهندس الصوت : جميـــل عزيـــز
انتاج سنة ١٩٨٢

الموضـــوع :

كانت سيناء دائماً وخاصة المنطقة الشمالية منها ، هى الباب الشرقى لغزو مصر، والطريق الحربى بينها وبين العالم الخارجى .. منذ قيام الفراعنة وحتى حرب أكتوبر فى العصر الحديث .

سيناء اليوم مشغولة بالبناء والتعمير.. وقد تم نقل مياه النيل إليها .. وهى تفصح عن كنوزها المعدنية الدفينة : الفحم فى وادى المغارة .. والمنجنيز فى أم بجمة .. والبترول فى خليج السويس ..

وقد نال هذا الفيلم الجائزة الأولى فى مهرجان الأفلام التسجيلية الذى أقيم بمدينة « ساليرنو» بإيطاليا عام ١٩٨٦ .

التعليـــق :

● لا تصدق صمت هذه الأرض التى تحمل إسم « سيناء » .. ولا تدع وحشتها تخدعك .. فعلى ساحتها تصادمت معظم حضارات التاريخ ، وجرت بينها أكثر المعارك صخباً وأعلاها صوتا .

● يمتد على هذه الأرض أقدم طريق عسكرى فى التاريخ، الطريق الحربى العظيم من السويس إلى رفح.. ومن عصرنا إلى أيام الفراعنة.

● جيوش تحوتمس الثالث وحدها قطعت هذا الطريق سبع عشرة مرة وهى التى مهدته لكى تسير فيه كل الجيوش بعدها.. وتتصادم على مساره مختلف الحضارات الكبرى.

● جاءت من نفس الطريق حملة قمبيز ملك الفرس.. وجاءت منه جيوش الإسكندر.. وخرج منه المصريين يوقفون زحف التتار.. وجاء منه العثمانيون يحتلون مصر.. وعبره الصليبيون ثلاث مرات.. وخرج منه نابليون يغزو سوريا.. وإبراهيم باشا يغزو تركيا.. وفى العصر الحديث كان ميدان القتال ثلاث مرات، بين مصر وإسرائيل.

● آخر الحروب على هذا الطريق كانت حرب أكتوبر التى أطلق عليها إسم «الزلزال».

● كانت أعلى الحروب صوتاً فى العالم عندما نشبت، ومع ذلك فهى جرت على هذه الأرض التى تبدو للوهلة الأولى صامتة، نائمة، موحشة..

● لكن سيناء ليست أرض حروب فقط.. ونبض الحياة فيها لا يتلخص فى صدام الجيوش.. سيناء تتدفق بالحياة بدون حروب. وهى الآن تساهم فى رخاء العالم كله بالشريان الذى يخترق أرضها.. ويحمل إسم «قناة السويس».

والآن يتردد نبض الحياة وصخبها.. تحت قناة السويس.. من خلال نفق الشهيد أحمد حمدى، على مسافة سبعة عشر كيلومتراً شمالى السويس.

● هذا النفق، الذى يصل وادى النيل بأرض سيناء.. يتسع لستمائة مركبة فى الساعة، وطوله الكلى بمداخله أكثر من أربعة كيلومترات، ويجرى على عمق خمسين متراً تحت سطح القناة.

● وتنتشر بعد النفق شرايين الطرق الجديدة، التى تغطى وجه سيناء وتزرع العمران حيث تسير.

● من الماء كل شىء حى، وماء النيل يتدفق إلى سيناء ليل نهار عبر سحارات ضخمة تحت مياه القناة المالحة.. مليون ونصف مليون متر مكعب من الماء العذب فى اليوم الواحد.

والماء هو الذى يرسم الخط الفاصل فى سيناء بين اللون الأصفر واللون الأخضر وقطراته الغالية تستخدم دائما بحكمة، وتُروى بها الأرض فى هيئة رذاذ ينتشر بحساب دقيق.

● والماء فى سيناء لا يزرع الأشجار فقط، وإنما أيضاً يزرع البشر.. فالبدوى الذى يغرس شجرة تنبت له جذور بجوارها لا تسمح له بأن يعاود الرحيل.. والماء هنا أيضاً يستخدم بحكمة.. نقطة نقطة بجوار جذور النبات.

● حتى تربة الأرض لا تعود تهاجر إذا غرست فيها الأشجار تثبّت، وللأشجار فى سيناء دور حضا نة تربيها حتى يقوى عودها، ثم تغرس فى مواجهة الرياح لتحمى الحقول والحدائق.. وتثبّت الرمال العصبية القلقة.

● قد تكون الحروب أعلى صوتا.. لكن نبض البناء والحياة أطول نفساً وأبقى وأرحب.

● والمجتمعات الجديدة فى سيناء لا تولد اعتباطا.. وإنما تسهر على ولادتها ورعايتها هيئة متفرغة هى هيئة تعمير سيناء.

● وعلى خليج السويس تتحول الآن مدينة الطور، عاصمة جنوب سيناء إلى مدينة بالفعل، بعد أن كانت مجرد قرية.

● وفى قلب سيناء تدب الحياة الآن فى مجتمع جديد فى وادى فيران.. وتولد الآن مدينة جديدة تماماً فى منطقة كاترين.. حيث الوادى المقدس طوى الذى كلّم الله فيه موسى عليه السلام وجعله من المرسلين.

● وفى رأس سدر تنبت الآن ضواحى جديدة لم تكن موجودة من قبل.. ويتغير بسرعة وجه الحياة البدوية.. فالبدو بدأوا يستقرون ويسكنون البيوت ويحولون قماش خيامهم إلى سجاجيد.

● والمدن الجديدة تزحف على شمال سيناء أيضاً.. على المساعيد فى ضواحى العريش.. وفى رمانة.. ورابعة.. وبير العبد.. وشريط الساحل كله.

● وتختلط فى سيناء ضجة التعمير بزقزقة أطفال المدارس.. الجيل الجديد يتعلم ليتسلم المهمة ويواصل التعمير.

● ولكى ينجح الجيل الجديد فى مهمته، فان معاهد التدريب المهنى تلقنه مختلف المهارات التى يحتاج إليها لخلق حياة جديرة بالإنسان.

● لكن الجيل الحاضر لا يبنى فى الواقع فى أرض عذراء.. فما من موقع يتجه للبناء فيه إلا ويكتشف أن أجداده سبقوه إليه. وبجوار مدينة الفرما الحالية تظهر الآن من تحت الأرض مدينة الفرما الرومانية.

● وفى مدينة «قاطية».. ينشق بطن الأرض عن آثار المسلمين الذين عمروها أول مرة. وكل يوم يمضى تفصح الأرض عن آثار جديدة، تسجل سبق الأجداد منذ فجر الحضارة المصرية.

● لكن الأحفاد أسعد حظاً من الأجداد.. فهم الآن يعمرون سيناء مستعينين بأقمار الفضاء التى ترسم لهم المواقع والثروات وتزودهم بخرائط كاشفة لمختلف الكنوز.

● شمال غرب سيناء.. بترول وفحم وسمك فى بحيرة البردويل.

- وسط غرب سيناء .. مياه جوفية وبترول .
- شمال شرق سيناء .. بترول وحديد ورمال سخية بالمواد الذرية .
- وسط سيناء .. فحم وحديد وخزان من المياه .
- جنوب غرب سيناء .. حديد ومنجنيز وخزان من البترول .
- وسط شرق سيناء .. عروق النحاس التى اكتشفها الفراعنة بدون أقمار .
- الطرف الجنوبى لسيناء .. رواسب للمنجنيز فى شرم الشيخ .

لم يبق على صدر الأرض فى سيناء شبر لم تُسجل معالمه .. ولم يبق تحت الأرض شىء إلا وتصوره الأقمار وتتلصص على كنوزه ..

وما أكثر الكنوز فى سيناء فوق الأرض وتحتها .. وقبل الأقمار بملايين السنين حفرت الصخر سيول الماء .. وكشفت عن معادنه .. فكانت سيناء أضخم محجر تاريخى عرفه الفراعنة .

● وأنبت الماء فى شقوق الصخر عشرات من صنوف الأعشاب ، تعالج عشرات من الأمراض .. وما تم حصره من هذه الأعشاب له أسماء عجيبة ، وله خواص أعجب .. « الجعيثران » مثلاً ، يعالج السعال ، والمغص .. « النهيدة » يعالج الإسهال والبرد ، وضغط الدم ، واضطراب الأعصاب .. « القيصوم » يعالج أمراض العيون .. « الكدادة » أمره غريب .. إذا شربناه شفى أمراض الصدر ، وإذا مضغنا جذوره شفى أمراض الأسنان .. وإذا حرقناه كان رماده علاجاً للجروح والحروق .. صيدلية فطرية كاملة تنتشر فروعها من قمم الجبال إلى السفوح والوديان .

● وأشهر ما فى صيدلية سيناء المياه الكبريتية فى حمام فرعون .. وهى مياه تعالج الروماتيزم وأمراض الجلد وبعض أمراض الكبد والقولون وتتدفق ساخنة على وشك الغليان .

كان الفراعنة أول من اكتشف حمّام فرعون .. وكانوا أول من اكتشف أيضاً مناجم الذهب والنحاس ومختلف المعادن ، وبعض نقوشهم ما تزال تدل على مواقع الفيروز فى سيناء .

● وفى المتحف المصرى سجل زاخر بكنوز سيناء التى اكتشفها الفراعنة و وقطع نادرة من قلائد فيروزها ومشغولاته الباهرة .

● والذى يستثمر الآن من كنوز سيناء المعدنية قليل .. ولكن رجال التعدين يواصلون الغزو .

● فى وادى المغارة مخزون من الفحم الحجرى يصل إلى خمسين مليون طن . وفى الوادى تم حفر أكثر من مائة بئر لالتقاط العينات من هذا الفحم .

● أما المنجنيز فسيناء مشهورة بثروتها منه منذ أقدم عصور التاريخ .. وتزخر سيناء أيضاً بالكاولينا والطينة البيضاء .. ومنها تصاغ أجمل مصنوعات الصينى والخزف .

● لكن أكثر ما يستثمر من كنوز سيناء الآن هو البترول الذى يتدفق كثير منه تحت أرضها الكتوم الصامتة.

● وتحت مياه خليج السويس أيضاً يواصل البترول التدفق من سيناء، من الأرض التى كانت أقدم منجم عرفه التاريخ.. وكانت بالنسبة للفراعنة صندوق الذهب والمعادن النفيسة.. وأصبحت الآن بئر البترول لأحفادهم وصندوق ذهب أسود لا ينفد ولا تخبو شعلته أبدا.

لكن ثروة الماء فى سيناء لا تقل سخاء عن ثروة البترول.. وبساط بحيرة البردويل فى شمالها شاهد على ذلك.

● تحت مياه البردويل كنز من الطعام، وثروة غير محدودة، تدفقت فى الأعوام الأخيرة إلى مختلف بلدان العالم وغمرت موائده بألوان نادرة وشهية من الأسماك.

● وفى أقصى الجنوب، فى رأس محمد، وشرم الشيخ، يتألق السحر فوق بساط الأمواج.. وكنز من المتعة للزائرين.. لا ينافسه إلا السحر الذى تحت الماء.

● وليس فى العالم كله جنة تحت الماء كالتى يستمتع بها الغواص تحت مياه رأس محمد وشرم الشيخ.. مسرح خرافى من مسارح الباليه، الديكور فيه من شعب المرجان، والراقصونة والأزياء والألوان تتحدى عبقرية الإنسان.

● لكن أجمل ما فى سيناء فى النهاية أهلها.. وحرارة استمتاعهم بالحياة والحب، والموسيقى، والغناء.

ألا يحق لهذه الأرض يا ترى، بعد آلاف السنين من عراك الجيوش والحضارات أن تعيش كما يتمنى أهلها.. حياة بناء ورخاء.. وحب وسلام..؟

● ● ●

برصات كاتون